البابُ السادس عشر

في ذكرِ الظلمِ والمظالمِ، وتبعاتِ الخصومِ والملازم

قال الله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾[1].

وقال حبيبُ بنُ سلمة: إن رسول الله ﷺ دعا إلى قصاص من نفسه، في خَدْشٍ خَدَشَه أعرابياً، لم يتعمده، فأتاه جبرائيلُ عليه السلام، فقالَ: يا محمدُ إنَّ الله تعالى لم يبعثْك جباراً ولا متكبراً، فدعا النبيّ ﷺ الأعرابيَّ فقال اقتصَّ منّي، فقال الرجلُ: قد أَحْلَلْتُك بأبي أنت وأمي، وما كنت لأفعل ذلك، ولو أَتيْتَ على نفسي، فدعا النبيّ ﷺ له بخير.

وقال عامرٌ الشعبي: إنَّ أولَ ما يُقضى بينَ الناس، يومَ القيامةِ في المظالمِ، فيما بينهم.

وقال عبدُالله بن يزيدَ السّلَميُّ: لما رجعَ جعفرٌ بنُ أبي طالبٍ من أرضِ الحبشةِ، قال له رسول الله ﷺ: أخبرني بأعجبِ شيءٍ رأيتَه في أرضِ الحبشةِ؟ فقال: رأيتُ امرأةً تمرُّ، وعلى رأسِها مِكْتَلٌ فيه طعام، فمرَّ بها فارسٌ يركضُ، وبيده مدراةٌ فدفعها بمدراتِه فسقطَ المكتلُ عن رأسها، وتبدَّدَ ما كان فيه، فَقَعَدَتْ تجمعه، وتقول: الويلُ لكَ يومَ يَضَعُ الملِك كُرسيَّه، فيأخذُ للمظلومِ من الظالم، قال: فدمعتْ عينا رسول الله ﷺ، وقال: «لا قدّسَ اللَّهُ أمةً لا يأخذُ قويُّها لضعيفِها حقَّه وهو غير متعتع».

---

(1) البقرة: الآية (270).

وقال ابنُ مسعودٍ: من سَلِم من أربعٍ يدخلِ الجنة: الدماءُ والأموالُ والأشربةُ الحرامُ والفروجُ الحرامُ.

وقال الثوريُّ: إنك لو تلقى الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبينه، أهون عليه من أن تلقاه بذنبٍ واحدٍ فيما بينك وبين العبادِ.

قال: وسألَ كعبٌ ابنَ عباسٍ: عما يقولُ الحمارُ في نهيقه، والغرابُ في نعيقهِ، والديكُ في صعيقه، والقنبرُ في نقيره، والدرّاجُ في غريره، والفرسُ في صهيله، فقال ابن عَبّاس: الحمار يقولُ: لعنةُ الله على الظالمين، والغرابُ يقول: لعنَ الله العشارين والديك يقول: اذكروا اللَّهَ يا غافلين، والقنبرُ يقول: لعن اللَّهَ مبغضي آلِ محمدٍ ﷺ والدارّجُ يقول: الرحمنُ على العرش استوى، والفرسُ يقول: لا إله إلا الله (!!).

قال: ومكتوبٌ في الزبورِ: يا داودُ إنّهَ العِبَادَ عن الظلم، وإن كان كلُّ طائرٍ يطيرُ بجناحيه، وأنا قاضٍ عَدْلٌ، ولا أجور في الحكم، آخذُ للمظلومِ من الظالمِ، ولو لطمَ كفٌ، وجناح طير على طير.

قال: ولما استأصَلَ الرشيدُ شأفةَ البرامكةِ وُجِدَتْ تحتَ فراشِ جعفرٍ بن يحيى رقعةٌ، مكتوبٌ فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، قد تقَدَّم الخصمُ والظالمُ بالأثر، والقُدومُ على الحاكمِ العدلِ الذي لا يحتاج إلى بينةٍ، ولا يجور في الحكم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

الحكاية

مرَّ عيسى بنُ مريمَ صلوات الله عليهما عَلى قبرٍ، فسمع نياحةً وأنيناً، فدعا ربَّه أن يكلمه، قال: فخرجَ وليس له يدان، ولا رجلان، قال عيسى:

مـا بالك؟ قال: مِتُّ مُذْ تسعين سنة، فمـا سَكَنَتْ حرارةُ الموتِ من صدري، وإني كنتُ رجلاً حمَّالاً، حملتُ يوماً حزمةَ حطبٍ لرجلٍ، فأخذتُ منه خِلالاً فتخلَّلْتُ به، فسألني ربي عن ذلك، فقالَ لي ما استحييتَ مني؟ أخذتَ ما ليس لكَ، ومـا استحللتَ من صاحبها، فهذه حـالي، قال: فبكى عيسى بنُ مريم، وقال: هذا بصاحِبِ الخِلالِ فكيفَ بصاحبِ الجُذوعِ؟!

obeikandl.com